الفصـــل الثـــالث

طرق الاتصال بالتلاميذ الصم

طرق الاتصال بالتلاميذ الصم

تعد عملية الاتصال جوهر استمرار الحياة الاجتماعية وتطورها ، فالحضارة الإنسانية حافظت على بقائها وتطورها من خلال عملية الاتصال ، وعملية التربية عامة تقوم على الاتصال الفعال ، ونجاح التلميذ الأصم فى تحقيق الاتصال الفعال مع المجتمع من حوله من الأهداف الرئيسية من وراء تربيته ، وذلك لأن الصمم يفرض على ضحاياه جدارًا من العزلة فى حالة استسلام الأصم لإعاقته السمعية ، وانسحابه من أى تفاعل مع المجتمع ، وتلك العزلة تكون أشد وطأة عندما لا يلتحق الأصم بالمدرسة ولا يحصل على أى قدر من التعليم المنظم ، ولذلك لا نبالغ إذا قلنا أن التحدى الأعظم الذى يواجه الصم يتمثل فى كيف يتفاهمون فيما بينهم ؟ وكيف يتعلمون لغة المجتمع ؟ وكيف يتصلون بمجتمع العاديين ؟

وقد كانت طرق الاتصال بالتلاميذ الصم - ولا زالت- مثاراً للجدل والنقاش ، بين القائمين على تربية الصم ، حيث انقسموا إلى فريقين ، كل فريق يتبنى وجهة نظر وفلسفة مغايرة للفريق الآخر . فالفريق الأول يؤيد الطريقة الشفهية (Oral Method) والفريق الثانى يؤيد الطريقة اليدوية (Manual Method) وهذا الاختلاف قد انعكس بدوره على معلمى الصم ، الذين انقسموا ما بين مؤيد ومعارض لكل من الطريقتين ، ولذلك سوف نلقى الضوء على كل من الطريقتين ، وعلى طريقة الاتصال الكلى(Total Communication Method) ، التى حاولت أن تجمع بين كل من الطريقة الشفهية والطريقة اليدوية ، فى طريقة واحدة .

ولابد من الإشارة إلى أن تخطيط وتنفيذ مناهج التلاميذ الصم ، لن يتم تحقيقه على أسس علمية ، إلا من خلال معرفتنا بطرق الاتصال المختلفة الخاصة بالتلاميذ الصم ، ومعرفة أوجه القوة والضعف فى كل طريقة من هذه الطرق لكى نستطيع أن نضع أيدينا على طريقة الاتصال المناسبة ، والتى تتلاءم مع طبيعة المتعلم الأصم ، ومع طبيعة الإمكانات المادية والبشرية المتاحة ، بالإضافة إلى أننا لا نستطيع أن نتخيل بأى حال من الأحوال ، أن الذين سيقومون بتخطيط وتنفيذ مناهج التلاميذ الصم ، ليس لديهم أدنى معرفة عن طرق الاتصال المختلفة بالتلاميذ الصم وذلك على اعتبار أن المنهج سواء فى مرحلة التخطيط أو البناء أو التنفيذ لابد أن يأخذ فى اعتباره الإمكانات المتاحة ، والمعلم بمستويات تمكنه من الكفايات اللازمة لوضع تلك المناهج موضع التنفيذ يعد عاملاً حاسماً ، إذ أنه هو القادر على إنجاز الأهداف الخاصة بالمنهج ، وهو أيضاً يمكن أن يكون السبب الرئيسى وراء ما يحدث من الفشل أو القصور .

ومن هذا المنطلق سوف نستعرض طرق الاتصال بالتلاميذ الصم ، باعتبارها إحدى الركائز الرئيسية التى سيتم فى ضوئها تخطيط وبناء وتنفيذ مناهج الصم والتى تعد من أهم الأركان اللازمة للمعلم ، فضلاً عن أنها تشتمل على مهارات أساسية لابد من التأكد من أن المعلم قد اتقنها بدرجة عالية .

أولاً - الطريقة الشفهية (Oral Method)

هى طريقة لتعليم الصم ، تجمع بين استخدام الكلام وبقايا السمع وقراءة الكلام ، ولكنها تُحرم على التلاميذ الصم استخدام لغة الإشارة وهجاء الأصابع فى عملية الاتصال،لاعتقاد أصحاب تلك الطريقة ، بأن استخدام التلاميذ الصم للاتصال اليدوى سوف يؤثر على نمو قدرتهم على الكلام ، ولذلك فهم يؤيدون استخدام قراءة الكلام والتدريب السمعى ، وتتنوع البرامج داخل إطار الطريقة الشفهية ، فنجد أن بعض البرامج تركز على استخدام بقايا السمع ، والبعض الآخر يركز على حاسة البصر وقراءة الكلام ، وهناك من يجمع بين استخدام بقايا السمع وقراءة الكلام معاً .

١ - قراءة الكلام (Speechreading)

هناك من يستخدم مصطلح قراءة الشفاه Lipreading ، والذى يقصد به قدرة الأصم على ملاحظة حركات الشفاه واللسان والفك ؛ بدلاً من مصطلح قراءة الكلام ، ولهؤلاء نقول أنهم بذلك قد أغفلوا تأثير تعبيرات الوجه والإيماءات ولغة الجسد وطبيعة الموقف والكلام ، وهى الأشياء التى يستطيع من خلالها الأصم تحديد مضمون الحديث ، لذلك فقد اتُفق على استخدام مصطلح قراءة الكلام لأنه أشمل وأعم من مصطلح قراءة الشفاه .

وتُعرف قراءةالكلام بأنها « القدرة على فهم أفكار المتكلم بملاحظة حركات الوجه والجسد ، ومن خلال المعلومات المستمدة من الموقف وطبيعة الكلام » . وعلى ذلك فإن قراءة الكلام مهارة تشتمل على تفسير أفكار المتكلم ، وتتطلب القدرة على رؤية حركة الشفاه واللسان والفك بسرعة ، وأن يستكمل الفرد ما لم يستطع رؤيته بوضوح ، بملاحظة تعبيرات الوجه والإشارات وطبيعة الموقف والسياق اللغوى .وقراءة الكلام مهارة تعتمد على التخمين والفهم الجيد للغة ، وبالرغم من أن مهارة قراءة الكلام يمكن تعلمها وتنميتها بواسطة التدريب ، إلا أن بعض الصم لديهم استعداد أكثر من غيرهم فى مهارة قراءالكلام ، وذلك بصرف النظر عن مستوى التعليم ودرجة فقدان السمع ، وقراءة الكلام مكمل مهم لبقايا

السمع ، ولكنها ليست بديلةعن السمع ، فكلما زادت درجة فقدان السمع كلما زادت حاجة الأصم إلى الاعتماد على حاسة البصر ، فالأصوات التى يصعب سماعها يمكن رؤيتها من خلال قراءة الكلام .

وتحتاج قراءة الكلام إلى تدريبات كثيرة ومتنوعة تعتمد على الإدراك اللمسى ، متمثلاً فى قيام التلميذ الأصم بوضع يده على فم أو أنف أو حنجرة المعلم ، ومكان وضع اليد فى المناطق السابقة يتوقف على طبيعة مخارج الحروف الهجائية ، التى يختلف مخرجها من حرف لآخر . والهدف من ذلك هو إحساس التلميذ الأصم بالاهتزازات الصادرة عن تلك الأجزاء عند نطق الحروف الهجائية المختلفة، فعلى سبيل المثال ، يتم وضع ظاهر يد التلميذ الأصم أمام فم المعلم ليحس بالهواء الساخن الخارج من الفم ، وذلك عند تدريبه على نطق حرف (الشين) ويقوم المعلم بوضع يد التلميذ على حنجرته ليحس بالذبذبات الصادرة عن الحنجرة عند تدريبه على نطق حرب (الجيم) .. إلخ (شكل ٢).

(شكل٢) تدريبات النطق ومخارج الحروف

وعملية تدريب التلميذ الأصم على النطق ومخارج الحروف وقراءة الكلام ، تستند على بعض الأسس والقواعد التى لابد أن يراعيها المعلم ، منها على سبيل المثال أن يتأكد المعلم من جلوس التلميذ الأصم فى المكان المناسب ، الذى يتيح له فرصة مشاهدة وجه المعلم بوضوح،

ومراعـاة وجود الضـوء المناسب ، وأن يكون مصـدر الضوء من خلف التلميـذ ، بحيث يكون مسلطاً على وجه المعلم .

والسؤال الآن هـو : هل يمكن من خلال قراءة الكـلام ، قراءة ومعرفة كل صـوت ينطقه المتكلم ، بحيث يمكن أن يحل البصر محل السمع ؟

بالطبع غير ممكـن ، لأن أفضل قارئ للكلام لا يمكنـه أن يفهم كل كلمة لكل متكلم ، فهنـاك العديـد من المشكـلات التى تعترض القـدرةعلى قراءة الكـلام ، ولـذلك فإن على من يستخـدمون قـراءة الكلام ، أن يكـونـوا على وعى بتلك المشكلات ، لكى ينجحـوا فى التغلب عليها باستخدام استراتيجيات الاتصال المختلفة .

وفيما يلى بعض المشكلات التى تـواجه قراءة الكلام ، والتى تم تصنيفهـا إلى أربعة أنواع وهى :

١ - مشكلات متعلقة بالمتكلم :

وتشمل سرعـة أو بطء حـركات الشفـاه والفك ، وعـدم استخدام المتكلـم للإشـارات وتعبيرات الوجـه ولغة الجسـد المصاحبة لعمليـة الكلام . لـذلك فعندمـا يكون المتكلم على صلة وثيقة بالأصم ، فإن ذلك سوف ييسر عليه عملية قراءة الكلام .

٢ - مشكلات متعلقة بالبيئة المحيطة :

وتشمل عدم ملاءمة المسافة بين المتكلم وقارئ الكلام ، وعدم ملاءمـة الإضاءة ، وجود بعض الضوضاء ، ومشتتات الانتباه الأخرى .

٣ - مشكلات متعلقة بقارئ الكلام:

وتشمل وجود بعض المشكلات البصريـة ، لدى قارئ الكلام ، مما يشكل صعـوبة لديه فى قراءة الكلام ، أو عدم تركيزه مع المتكلم ، أو عدم ميلـه لموضوع المحادثة ، ولذلك فإن عدم تركيز قارئ الكلام مع المتكلم ولو لدقائق قليلة ، كفيل بعدم فهمه لجزء كبير من الحديث .

٤ - مشكلات تتعلق بطبيعة الكلام أو النطق :

وتشمل وجود عدد من مخارج الحروف لا يتم رؤيتهـا على الاطلاق ، أويتم رؤيتها بشكل جزئى ، علاوة على أن النطق بمعدل سريع ، يـؤدى إلى عجز العين عن أداء وظيفتها بالسرعة التى تتناسب مع سرعـة أداء العضلات الخاصة بـالنطق ، بالإضافـة إلى وجود بعض الكلمات التى تتشابه فى حركة الشفاه ، والتى ينبغى تمييزها من خلال سياق الحديث .

بالإضافة إلى ما تقدم ذكره من مشكلات ؛ فإن التلاميذ الصم ، الذين يتلقوا تعليمهم من خلال قراءة الكلام ، نجدهم لا يستخدمون قراءة الكلام فى الاتصال فيما بينهم، ويفضلون استخدام لغة الإشارة ، علاوة على وجود بعض الصعوبات التى تعترض الوالدين، عند استخدامهم لقراءة الكلام فى تعاملهم مع طفلهم الأصم ،لأنها تحتاج إلى خبرة وتدريب من نوع خاص .

ولكن مع كل هذه المشكلات المتعلقة بقراءة الكلام ، فإن قارئ الكلام يمكنه أن يقلل من تأثير تلك المشكلات من خلال استخدام بعض استراتيجيات الاتصال التالية :

(أ) استراتيجيات توقعية (Anticipatory Strategies)

وتشمل ما يلى :

- توقع الكلمات المحتملة.
- توقع سياق المحادثة المحتملة .
- توقع الأسئلة التى قد توجه إليك .
- حدد المعلومات التى تريد الحصول عليها .
- حدد الأسئلة التى تريد أن تطرحها.
- توقع المشكلات البيئية مثل (الضوضاء وعدم ملاءمة الإضاءة) .
- خطط لكيفية التخلص من المشكلات البيئية .

(ب) استراتيجيات تعويضية (Repair Strategies)

وتشمل ما يلى :

- كرر بعض الكلمات .
- تكلم بالكلمات الدليلية أو الأساسية .
- اختصر الكلمات.
- استخدم الهجاء فى الكلمات الأساسية .
- اكتب رسالة مختصرة وركز فيها على الكلمات الأساسية.
- استخدم الإيماءات .

(جـ) استراتيجيات الاستماع (Listening Strategies)

وتشمل ما يلى :

- اطلب من المتكلم أن يتكلم بوضوح ويقف فى مواجهتك .
- اطلب من المتكلم أن يتكلم بوضوح وبصورة طبيعية ، دون أن يلجأ إلى الصراخ أو رفع الصوت ، أو المبالغة فى الحركات الخاصة بالنطق .
- اطلب من المتكلم أن يكرر الرسالة ، إذا لم تكن مفهومة ، أو دعه يقولها بطريقة أخرى .
- اطلب من أحد الأشخاص أن يلخص محور الحديث فى حالة عدم اشتراك أكثر من شخص فى المحادثة .
- اقترب من الشخص الذى يتكلم .
- إذا كانت المحادثة تتم فى جو من الضوضاء ، حاول أن تتحرك أنت ومن تحدثه إلى مكان آخر أكثر هدوءًا .
- عندما يتطلب الموقف أو المحادثة معرفتك لمعلومات دقيقة أو بيانات معينة ، فإنه من الأفضل أن تحصل على تلك المعلومات مكتوبة .
- اطلب من المتكلم ألا يتكلم أثناء الأكل أو التدخين أو المضغ .
- إذا كنت من ضعاف السمع ، عليك بتوجيه أذنك السليمة تجاه المتكلم كلما أمكن ذلك .
- اطلب من المتكلم أن يكف عن الكلام فى حالة وجود ضوضاء من حولك .
- احضر الاجتماعات مبكراً حتى تتمكن من الجلوس بالقرب من المتكلم .
- عند ذهابك إلى السينما أو المسرح عليك بقراءة ملخص القصة مسبقاً .

تلك كانت بعض استراتيجيات الاتصال والاستماع التى ينبغى على قارئ الكلام أن يُلم بها ، من خلال حصوله على التدريبات المتنوعة ، والتى يشرف عليها الاخصائيون المتخصصون فى هذا المجال ، وعبر هذه الاستراتيجيات يستطيع التلاميذ المعوقين سمعياً أن يندمجون فى عالم العاديين ، مما قد ينعكس بصورة إيجابية على تكيفهم الاجتماعى والنفسى وعلى مستوى تحصيلهم الأكاديمى .

٢ - التدريب السمعى (Auditory Training)

تعتمد الطريقة الشفهية - مع قراءة الكلام - على التدريب السمعى ، وعمليةالتدريب السمعى تهدف إلى الاستفادة من بقايا السمع لدى الطفل المعوق سمعياً ، حيث يعتقد أصحاب الطريقة الشفهية أنه كلما قلت درجة فقدان السمع ، كما كان التدريب السمعى أفضل ، وكلما زادت درجة فقدان السمع كلما كانت قراءة الكلام أفضل ، وعلى ذلك فإن الأصم بدرجة حادة لا يجدى معه استعمال تدريبات السمع .

ومع التقدم التكنولوجى العالمى السريع فى صناعة المعينات السمعية ومقويات الصوت بمختلف أنواعها ، فإن تدريبات السمع والنطق قد حققت انتشاراً كبيراً فى الآونة الأخيرة ، والهدف من استخدام مقويات الصوت هو توصيل الصوت إلى ضعيف السمع بعد تكبيره لمستوى معين ، ليستطيع سماعه ، بالإضافة إلى أن هناك بعض الحروف التى يصعب ترديدها إلا باستخدام مقويات الصوت مع قراءة الكلام ، الأمر الذى يزيد من قدرة المعوق سمعياً على الفهم والتحصيل وعلاج بعض عيوب النطق ، لأن المعوق فى هذه الحالة يستخدم حاستين فى آن واحد ، حاسة البصر فى قراءة الكلام ، وحاسة السمع باستخدامه لمقويات الصوت .

(شكل ٣) التدريب السمعى

وقد قام كل من (كارهرت ، ساندرز Carhart & Sanders ١٩٧١) بتحديد عددمن الأهداف الأساسية للتدريب السمعى ، والخطوات التى يجب اتباعها لتحقيق تلك الأهداف ، والتى يمكن توضيحها فيما يلى :

(أ) تنمية إدراك الصوت :

وهو من الأهداف الأساسية الأولى التى ينبغى على المعلم أن يعمل على تحقيقها من خلال تدريب الطفل المعوق سمعياً على سماع بعض الأصوات المختلفة . أصوات طيور ، حيوانات ، الرياح .. وغيرها من الأصوا ت الموجودة فى البيئة ، حيث لاحظ (ساندرز Sanders) أن الطفل الذى يستخدم أداة سمعية لأول مرة ، يحدث له نوع من الارتباك ، بسبب سماعه لأصوات عديدة ومتنوعة لأول مرة .

(ب) تنميةالقدرة على تمييز الأصوات :

فبعد أن يتمكن الطفل المعوق سمعياً من إدراك الصوت، يتم تدريبه على تمييز الأصوات ، وذلك من خلال مايلى :

- يقوم المعلم بتشجيع الطفل المعوق سمعياً ، على اللعب ببعض اللعب التى تصدر أصوات متنوعة مثل الأجراس واللعب الموسيقية .

- يقوم المعلم بوضع اللعبة التى تصدر الصوت خلف ظهره ، ويجعلها تصدر صوتاً ، ثم يعرضهاعلى الطفل المعوق سمعياً . وهذا المشهد يتكرر مع العديد من اللعبات ، حتى يتأكد المعلم أن الطفل قد تعلم الخصائص السمعية ، بعيداً عن الخصائص اللمسية والبصرية .

- يقوم المعلم باللعب مع الطفل المعوق سمعياً ، بعض الألعاب التى تعتمد على الربط بين الصوت وشكل ونوع اللعبة ، فعلى سبيل المثال ، يغطى المعلم عينى الطفل ، ويصدر الصوت من اللعبة ، ثم يقدم له لعبتين ، ويترك له فرصة اختيار اللعبة التى صدر عنها الصوت ، ويمكن زيادة عدد اللعبات التى يختار الطفل منها ، إذا أظهر تحسناً فى عملية تحديد مصدر الصوت ، وعندما يتقدم الطفل فى السن يمكن أن يقدم له المعلم عدداً من الصور بدلاً من اللعب ، مصحوبة بأصوات معينة ، ويطلب من الطفل مطابقة الصوت مع الصورة المناسبة .

(جـ) تنمية القدرة على تمييز الأصوات المألوفة وغير المألوفة :

فى تلك المرحلة يتدرب الطفل المعوق سمعياً على تمييز الأصوات اللفظية بعد انتهائه من التدريب على الأصوات البيئية ، والتدريب على تمييز الأصوات اللفظية هو فى حقيقة الأمر محور اهتمام التدريب السمعى ، وهو أكثر تعقيدًا من التدريب على الأصوات البيئية ، ويتم تدريب الطفل المعوق سمعياً من خلال تعريضه لسماع شرائط كاسيت مسجل عليها بعض الأصوات المختلفة ، وعليه تحديد تلك الأصوات اللفظية ، فى ظل وجود بعض مشتتات الانتباه المختلفة .

وقد قام (سيلفرمان Silverman) بتقديم بعض الأفكار المهمة التى ينبغى مراعاتها عند تطبيق إجراءات التدريب السمعى وتتضمن ما يلى :

١ - التدريب السمعى أكثر تأثيراً عندما يقترن السمع بالرؤية واللمس .

٢ - ضرورة ملاءمة فنيات التدريب السمعى مع قدرات الطفل السمعية .

٣ - ضرورة البدء فى استخدام التدريب السمعى عقب اكتشاف حدوث الإعاقة السمعية .

٤ - ضرورة أن ترتبط الخبرات المصاحبة لاستخدام المعينات السمعية ، بأشياء مقبولة وذات معنى بالنسبة للأطفال المعوقين سمعياً .

٥ - إن الأداة السمعية وحدها لاتكفى ، وأنه لابد من التدريب السمعى الذى يعتبر العامل الرئيسى لتعليم الطفل المعوق سمعياً كيف يستفيدمن السمع المتبقى لديه.

ثانياً - الطريقة اليدوية (Manual Method)

وهى طريقة لتعليم التلاميذ الصم، تجمع بين استخدام لغة الإشارة وهجاء الأصابع فى عملية الاتصال .

وقد كان الاتصال اليدوى ودوره فى تعليم التلاميذ الصم موضوعاً للجدل والمناقشة لفترة طويلة بين مؤيدى الطريقة الشفهية ومؤيدى الطريقة اليدوية ، ولكن خبرات التعامل مع التلاميذ الصم قد أظهرت أن طريقة الاتصال اليدوى قد حققت نتائج إيجابية ، نظراً لأنها تلبى حاجات معينة لدى التلاميذ الصم ، حيث أشارت نتائج الدراسات إلى أن عدداً كبيراً من البالغين المتعلمين من الصم ، يمتلكون قدرات إدراكية عالية ، على الرغم من أنهم

كانوا يستخدمون الاتصال اليدوى فى أنشطتهم اليومية ، وهو مايشير إلى أن الاتصال اليدوى لا يعوق هذه القدرات الإدراكية ، كما تصور مؤيدى الطريقة الشفهية ، بل على العكس من ذلك فإنه يساهم فى تنميتها ، كما يساعد الأصم فى التعبير عن نفسه بشىء من الطلاقة والحرية، خاصة باستخدام لغة الإشا رة .

لغة الإشارة (Sign Language)

تعتبر لغة الإشارة بمثابة اللغة المرئية للاتصال بين الصم ، وهى عبارة عن نظام متطور على مستوى عال ، وهو يعتمد على الرموز التى ترى ولا تسمع ، وتلك الرموز تم تشكيلها عن طريق تحريك الأذرع والأيدى فى أوضاع مختلفة ، وفى لغة الإشارة فإن حركات الأيدى تحل محل الكلمات المنطوقة ، وتعطينا تعبيرات الوجه وحركات الجسم إشارات مرئية تحل محل التعبير الصوتى ، وتحل العيون محل الأذن فى استقبال الرسالة . ولغة الإشارة تعتبر لغة قائمة بذاتها ، لأنها تؤدى معنى متكامل ، وهى لغة لا نستطيع على وجه التحديد أن نحدد جذورها وتطورها التاريخى، ولكن ما نستطيع قوله أنها لغة نشأت ونمت فى مجتمع الصم ، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من تكوينهم ، ولذلك فإن لغة الإشارة هى أكثر أساليب الاتصال استخداماً بين التلاميذ الصم سواء داخل أو خارج المدرسة .

ولكن على الرغم من أهمية لغة الإشارة بالنسبة للصم ، فإننا قد نجد بعض الآراء التى تتردد من حين إلى آخر ، والتى تقلل من أهمية استخدام لغة الإشارة ، بل وتطالب أحياناً بعدم استخدامها فى تعليم التلاميذ الصم ، مع الاعتمادفقط على الطريقة الشفهية .

وللرد على تلك الآراء نقول: إننا كعاديين نستخدم إشارات الأيدى والإيماءات أثناء حديثنا اليومى بشكل مستمر وبطريقة تلقائية لا شعورية ، وهو ما يُكسب كلامنا قوة وتأثيراً لدى المستمعين ، فما بالنا بالأصم الذى حُرم من القدرة على الكلام ، فلم يجد إلا أصابعه لكى تحل محل لسانه ، ورغم ذلك نريد أن نحرمه من استخدام تلك الأصابع ليتضاعف حرمانه أكثر فأكثر !

إن لغة الإشارة قد فرضت نفسها الآن كلغة رسمية ، وأصبحت لا غنى عنها بالنسبة للتلاميذ الصم ، ولكى نوضح مدى أهمية لغة الإشارة لدى الصم، نذكر أن المسئولين عن تعليم الصم فى الولايات المتحدة الأمريكية قد قاموا فى الفترة من (١٨٧٠م إلى ١٩٧٠م) بتحريم استخدام لغة الإشارة ، فى تعليم التلاميذ الصم فى المرحلة الابتدائية، واكتفوا

باستخدام الطريقة الشفهية فقط ، ولكنهم فى نهاية الأمر فشلوا فى منع التلاميذ الصم من استخدام لغة الإشارة ، والتى ظلت حية طوال تلك الفترة داخل مجتمع الصم ، فلم يكن أمامهم سوى الاعتراف بلغة الإشارة ، وإعادة استخدامها مرة أخرى فى تعليم التلاميذ الصم. ليس هذا فحسب ، بل قاموا بتنظيمها وتبويبها وتضمينها فى العديد من القواميس المختلفة التى تغطى مختلف المناهج الدراسية ومختلف الأغراض الحياتية التى قد تواجه الأصم .

هذا ويلاحظ أن أقرب المعلمين إلى قلب التلاميذ الصم ، المعلم الذى يتقن لغة الإشارة ، فإتقان المعلم للغة الإشارة يساعد على وجود قنوات جيدة للاتصال الفكرى ، التى تربط بينه وبين تلاميذه وهو ما يؤدى إلى زيا دة اهتمام التلاميذ الصم بالمادة الدراسية التى يقوم بتدريسها ذلك المعلم، وكلما زادت اهتمامات وميول التلاميذ الصم بالمادة الدراسية ، كلما حدثت عملية التعلم .

ولا نبالغ إذا قلنا إننا لن نستطيع الاقتراب من عالم الصم إلا من خلال معرفتنا بلغة الإشارة.

وتنقسم الإشارات إلى نوعين هما :

١ - إشارات وصفية :

وهى إشارات لها مدلول معين ، يرتبط بأشياء حسية ملموسة فى ذهن التلميذ الأصم ، ويقوم بالتعبير عنها بالإشارة .

ومن أمثلة الإشارات الوصفية ، الإشارة التى تعبر عن مدينة (القاهرة) والتى ترمز إلى شكل الهرم ، ومدينة (الأقصر) التى يعبر عنها بوضع الذراعين على هيئة تمثال فرعونى ، ومدينة (الفيوم) برسم حركة السواقى باليدين وكلمة (تليفون) بوضع أصابع اليد على الأذن والفم للتعبير عن شكل سماعة وبوق التليفون .. إلخ (شكل ٤) .

٢ - إشارات غير وصفية :

وهى إشارات ليس لها مدلول معين مرتبط بشكل مباشر بمعنى الكلمة التى يتم التعبير عنها ، وعندما تسأل الصم عن مدلول تلك الإشارات لا تجد لديهم أية إجابات شافية ، ولذلك لا تملك إلا أن تستخدمها كما هى .

« إشارات وصفية »

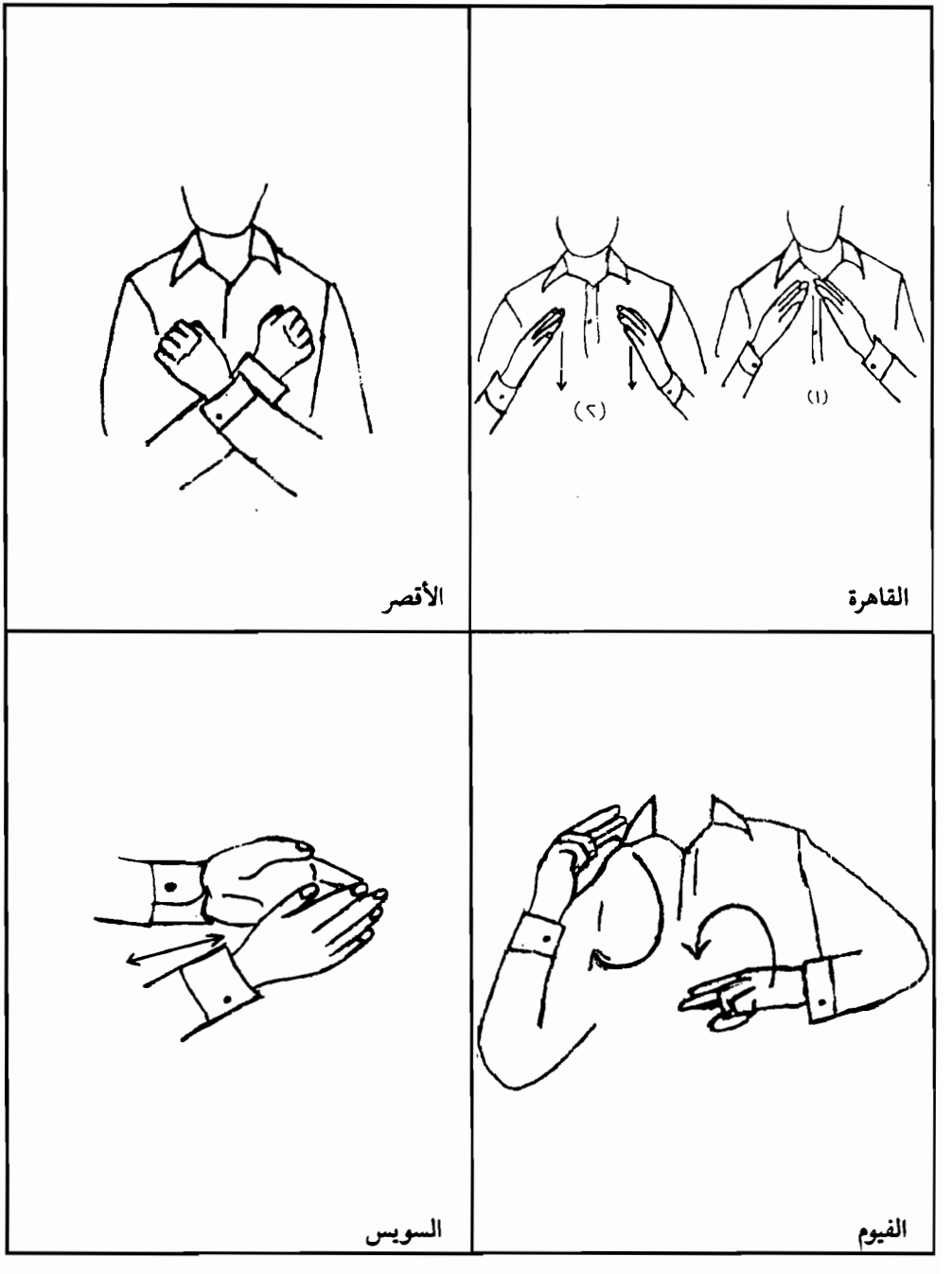

(شكل ٤)

« إشارات غير وصفية »

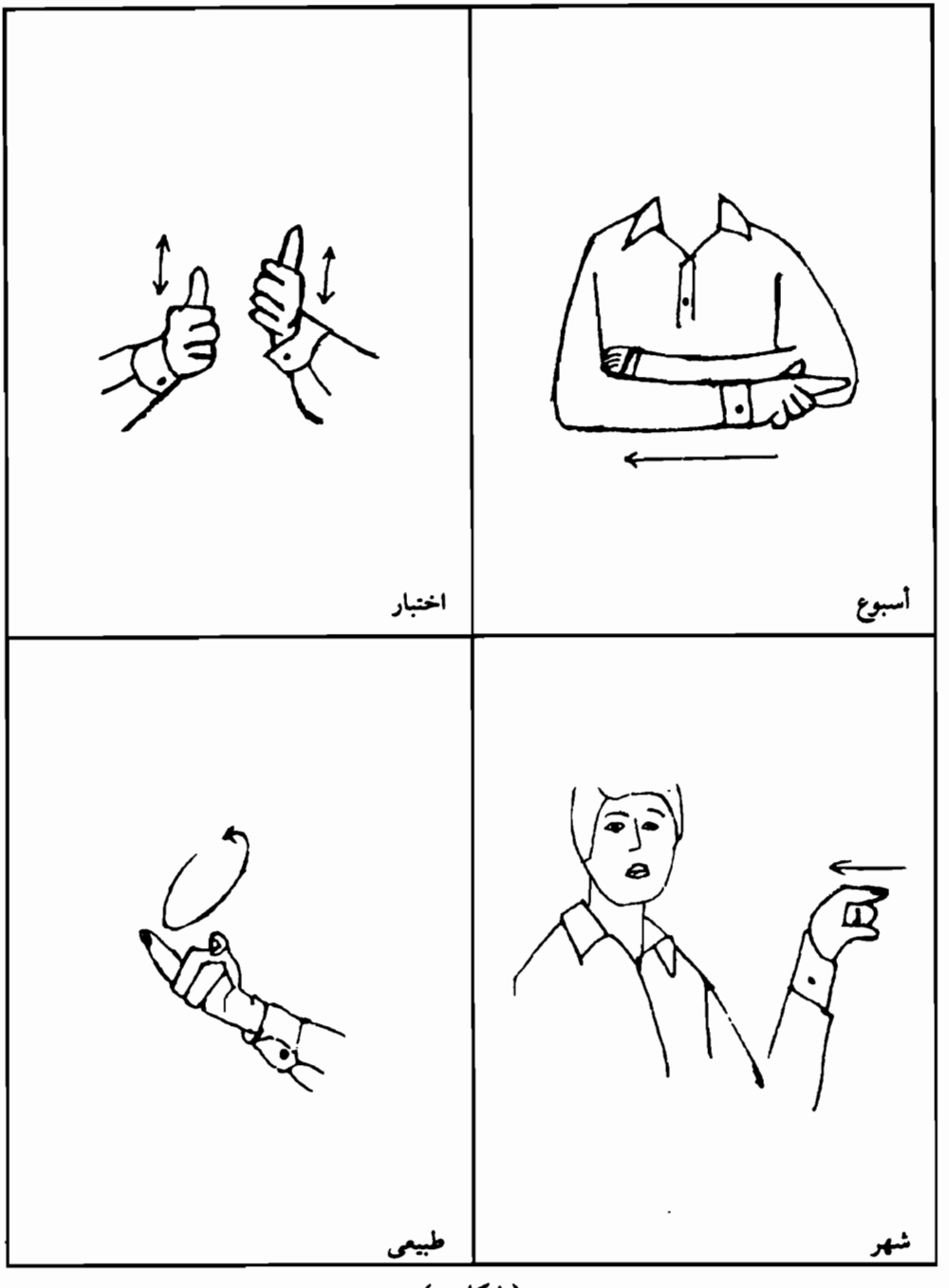

(شكل ٥)

ومن أمثلة الإشارات غير الوصفية ، الإشارة التى تعبر عن كلمة (مدرسة ، معلم ، اختبار طبيعى ، أسبوع ، شهر ، غير مهم.. إلخ) (شكل ٥) .

وينبغى أن نشير إلى أن التعبير بلغة الإشارة لا يقتصر فقط على حركة الأصابع والذراعين، بل يصاحب ذلك تعبيرات الوجه ، التى يجب أن تتلاءم مع طبيعة الكلمة المراد التعبير عنها ، فإذا كانت الكلمة تعبر عن معنى سيىء ، فلابد أن يظهر ذلك على تعبيرات الوجه ، وإذاكانت الكلمة أو الإشارة تتعلق بمعنى يعبر عن الفرح والسعادة فلابد أن ينعكس ذلك أيضاً على ملامح الوجه ، ونفس الشيء بالنسبة للتعجب ، الدهشة ، والاستفهام ، والخوف .. وغيرها من المفاهيم والمشاعر المختلفة ، واستخدام الأصم لتعبيرات الوجه ، جعل منه معبراً جيداً بالوجه ، وجعله أيضاً قارئاً جيداً لتعبيرات الوجه وللغة العيون .

كما تختلف اللهجات التى تتحدث باللغة العربية ، من دولة إلى أخرى ، وقد تختلف أحياناً داخل حدود الدولة نفسها ؛ ونفس الشيء نجده ينسحب أيضاً على لغة الإشارة ، التى تختلف من دولة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى ، ففى مصر ، على سبيل المثال ، تختلف بعض الإشارات باختلاف المحافظة التى يوجد بها الصم ، وهو الأمر الذى يجعلنا نحاول الإجابة على السؤال التالى :

كيف نوحد لغة الإشارة ونضعها فى قاموس للإشارات ؟

إن موضوع توحيد لغة الإشارة ، ووضعها فى قاموس للإشارات ، كان - ولا يزال - مطلباً ملحاً وضرورياً للمشتغلين بتربية الصم ، وللوالدين خاصة من العاديين ولديهم أحد الأطفال الصم ، وهؤلاء وأولئك طالما عبروا عن رغبتهم فى توفير دليل للإشارات ، يستطيعون من خلاله تحقيق اتصال ناجح وفعال مع الطفل الأصم ، الذى غالباً مايعيش معهم كأنه فى جزيرة منعزلة نظراً لعدم معرفتهم بلغة الإشارة .

فى تصورنا الشخصى أنه لكى ننجح فى توحيد لغة الإشارة ، ونضعها فى قاموس للإشارات ، ينبغى علينا أن نتبع الخطوات التالية :

١ - ضرورة قيام القيادات التربوية والتنفيذية المسئولة عن التربية الخاصة بتشكيل فريق عمل متكامل يجتمع بشكل منتظم ، يتم تكليفه بعمل هذا القاموس ، على أن يضم هذا الفريق ذوى الخبرة فى المجالات الآتية :

(أ) بعض الأفراد الصم ، الذين نـالوا قدراً مناسبـاً من التعليم ، ممن يشتغلون بمدارس الأمل للصم ، علي أن يراعي في اختيارهم التمثيل الجغـرافي لمحافظات مصر ، ويفضل من له خبرة واسعة بلغة الإشارة ومن يمتلك مهارة رسم الإشارات .

(ب) بعض معلمى الصم الذين يتقنون لغة الإشارة ، على أن يراعى فى اختيارهم تمثيلهم لمعظم المواد الدراسية التى يدرسها التلميذ الأصم .

(جـ) بعض المتخصصين فى التربيـة السمعية ، وفى اللغـة العربيـة من أصحاب الخبرة ، لتولى مهمة تخطيـط وتنظيم وتبويب القاموس . على أن يكـون لهؤلاء المتخصصين - بالتشاور مع معلمى الصم ومع مجموعة الصم - سلطة اختيار الإشـارة المناسبة ، وذلك فى حالة وجود أكثر من إشارة للكلمة الواحدة ، مع مراعاة اختيار الإشارة المناسبة فى ضوء المعايير التالية :

(أ) مدى تعبير الإشارة عن مدلول الكلمة .

(ب) مدى سهولة أو صعوبة أداء الإشارة.

(جـ) مدى تشابه الإشارة مع غيرها من الإشارات الأخرى .

(د) استخدام يد واحدة أو اليدين فى أداء الإشارة ، حيث يفضل استخدام يد واحدة .

(هـ) مدى اتفاق فريق العمل على الإشارة .

٢ - الاطـلاع على الاتجاهـات العـالميـة وخبرات الـدول والهيئـات التى سبقتنـا فى عمل قاموس للإشارات ، خاصة (جامعة جالوديت Gallaudet بواشنطن) الخاصة بالطلاب الصم، فمن خلال الاطـلاع على تلك الخبرات السابقـة ، نستطيع أن نعرف طـريقة تنظيم القـاموس وطريقة شرح حركة اليـدين والأصابع ، ونعرف أيضاً كيف نجحت تلك الدول فى التغلب على مشكلة عدم وجـود إشارات لدى الصم للعديد من الكلمات والمفـاهيم المختلفة المتضمنة فى محتوى المواد الـدراسية ، التى تـدرس للتلاميـذ الصم ، مما يشكل عبئـاً على المعلم الذى يجد صعوبة فى توصيل المعنى إلى أذهان التلاميذ الصم .

وعلى ذلك فإن على فـريق العمل المكلف بـوضع قـامـوس لـلإشـارات ، إعمال العقل ، لوضع إشارات لتلك الكلمات والمفاهيم ، التى لا يوجد لها إشارات فى لغة مجتمع الصم ، ليتم تعميمها بعـد الاتفاق والموافقـة عليها ، ونود الإشـارة إلى أنه ليس هنـاك أية غضـاضة فى

الاستعانة ببعض الإشارات الموجودة فى القواميس الأجنبية ، لاختيار بعض الإشارات ذات الصبغة الدولية ، فكما تتشابه بعض الكلمات فى بعض لغات العالم ، فيمكن أن تتشابه أيضاً بعض الإشارات بين دول العالم المختلفة .

٣ - ضرورة توفير الاعتمادات المالية اللازمة لإنجاز مثل هذا القاموس الموحد للإشارات ، حتى لا تقف تلك الاعتمادات حجر عثرة فى طريق تنفيذ القاموس.

٤ - طبع القاموس وتوزيعه على تلاميذ ومعلمى مدارس الأمل للصم وضعاف السمع ، وطرحه فى الأسواق ليكون فى متناول يد جميع أسر التلاميذ الصم .

٥ - إعداد خطة لتدريب معلمى الصم على أداء الإشارات الموجودة فى القاموس ، من خلال البرامج التدريبية المختلفة .

والجدير بالذكر فى هذا الصدد أيضاً ، أن هناك ما يعرف بلغة (الإشارة السرية) لدى مجتمع الصم، وهى لغة يتم تغييرها بمعرفتهم من وقت إلى آخر ، لكى تصبح محصورة فى نطاق ضيق فيما بينهم ، وتلك الإشارات السرية غالباً ما تتعلق بموضوعات غير مقبولة اجتماعياً ، ولذلك يلجأ إليها الصم ليخدعوا تلك العيون التى قد تراقب إشاراتهم لأن لغة الإشارة لغة مرئية لا يجدى معها الهمس مثل لغة العاديين ، فالأفراد العاديين من السهل عليهم التحدث فيما بينهم بأصوات خافتة غير مسموعة ، وهو ما لا يمكن تحقيقه فى عالم الصم، لذلك يلجأون إلى تلك الإشارات السرية ، فعالم الصم عالم متفرد بذاته . ومن ثم فإن الموضوعات الخاصة بينهم تحتاج إلى لغة إشارية خاصة لا يفهمها الآخرون ، وعلى الكبار أن يدركوا أن هذا الأمر يعد أمراً طبيعياً كما هو الحال مع الأسوياء .

هجاء الأصابع (Finger Spelling)

هجاء الأصابع نوع من الاتصال يستخدمه التلاميذ الصم ، حيث يتم تشكيل وضع الأصابع لتمثل الحروف الهجائية ، وهذه الحروف تستخدم للتعبير عن كلمات ، جمل ، وعبارات ، وهى تستخدم غالباً فى حالة عدم وجود إشارات تعبر عن بعض الكلمات أو المفاهيم أو الأفكار المختلفة .

فعلى سبيل المثال : إذا كان التلميذ الأصم اسمه (أحمد) فيقوم بالتعبير عن اسمه باستخدام هجاء الأصابع كالتالى :

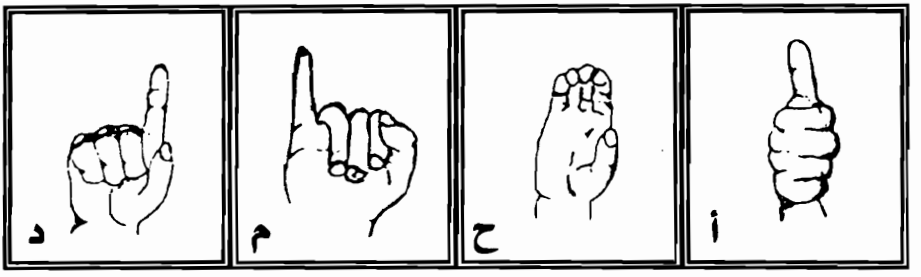

ويتوقف تعلم واتقان هجاء الأصابع على كثرة الممارسة ، وترتبط المهارة فى أداء حركة الأصابع ، بمدى مرونة وسرعة التلميذ الأصم فى تحريك أصابعه ، وسرعته فى معرفة وتخيل الحروف الهجائية التى تتكون منها الكلمة المراد التعبير عنها .

واتقان التلميذ الأصم لهجاء الأصابع يزيد من فرص ارتفاع مستواه التحصيلى بصفة عامة ، ويزيد من قدرته على الاتصال بالآخرين .

قد يندهش القارئ عندما يعلم أنه قد كان هناك أكثر من طريقة فى الدول العربية لهجاء الأصابع ، على الرغم من أن أبجدية الحروف العربية واحدة فى كافة الدول العربية . وهذا الاختلاف الذى كان قائماً فى شكل هجاء الأصابع وفى شكل الأرقام الحسابية ، كان يرجع فى الواقع إلى عدم التعاون والتنسيق بين الدول العربية ، وهى المسئولية التى تقع على عاتق المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وعلى عاتق المنظمات والاتحادات العربية الخاصة بالصم، لأنه لابد من وجود صيغة مشتركة للتفاهم فى إطار تلك المنظمات والاتحادات ، لتوحيد أبجدية هجاء الأصابع على مستوى الوطن العربى ، على أن يتم ذلك بمشاركة الصم أنفسهم حتى لا يُفرض عليهم شكل معين من هجاء الأصابع قد لا يقبلوه ، وهو الأمر الذى تداركه المسئولون عن تربية الصم فى الوطن العربى فى الآونة الأخيرة ، حيث تم الاتفا ق على تعميم أبجدية هجاء الأصابع والأرقام الإشارية العربية على جميع الدول العربية بما فيها مصر ، وذلك درءًا لأى اختلاف وهى الموضحة (شكل ٨) ، (٩) .

الأسس التى تم فى ضوئها إقرار أبجدية الأصابع العربية :

١ - تشابه الحرف الإشارى للحرف الأبجدى العربى ، أو يكون دالاً بقدر الإمكان على ما يتميز به الحرف .

٢ - التعبير عن الحرف فى سهولة ويسر وبأقل جهد عضلى مبذول وفى أقل وقت ممكن .

٣ - استخدام يد واحدة فقط فى التعبير عن شكل الحرف .

٤- الحرص على مواجهة الكف للمستقبل أو الناظر ، كلما أمكن ذلك .

٥ - الابتعاد عن تلك الحركات أو الإشارات التى قد يكون لها دلالة اجتماعية غير مقبولة .

٦ - وضوح وتميز وضع الأصابع عند التعبير عن كل حرف ، حتى لا تتشابه حركة الأصابع فى بعض الحروف ، الأمر الذى قد يؤدى إلى اختلاط الأمور على مستقبل الإشارة .

* * *

« أبجدية الأصابع الإشارية المصرية السابقة »

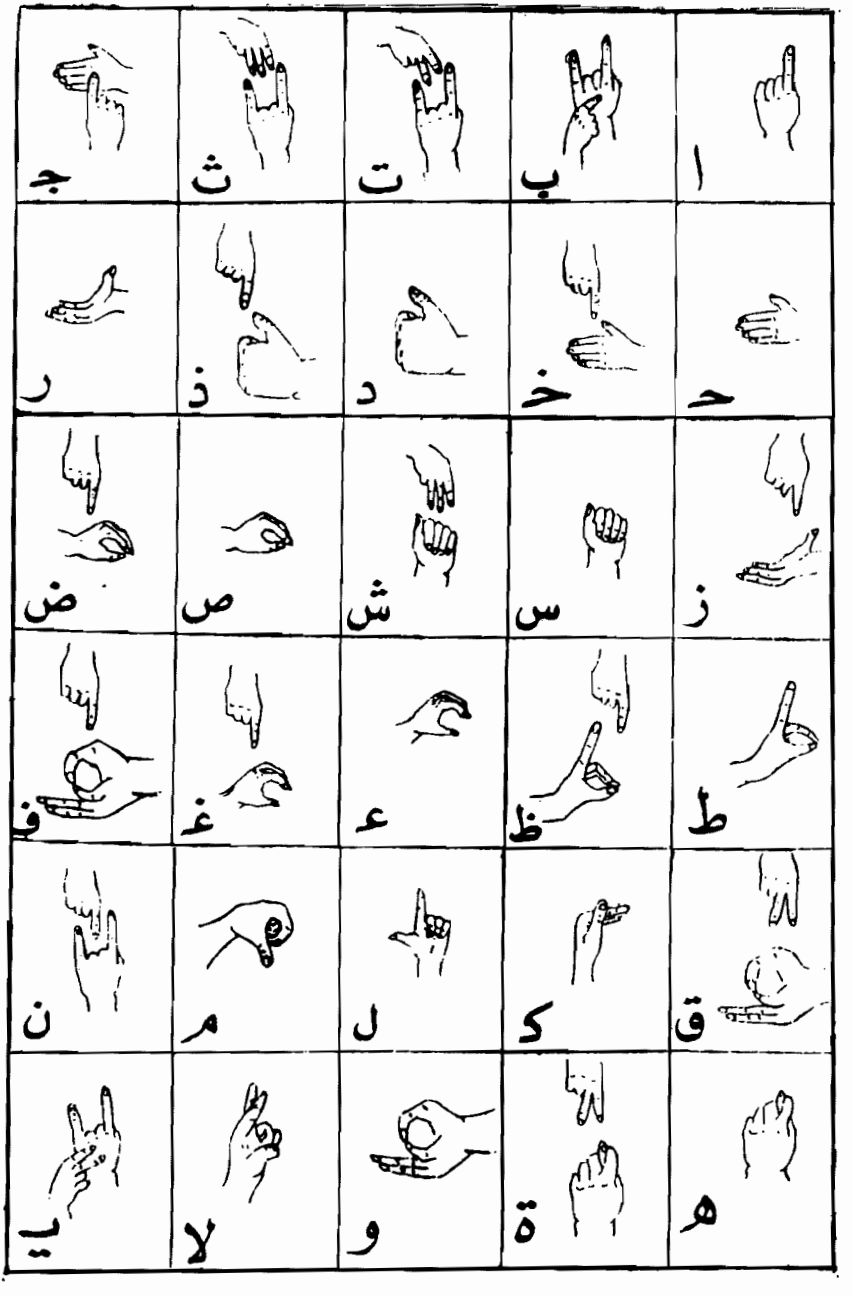

(شكل ٦)

« أبجدية الأصابع الإشارية المصرية المطورة »

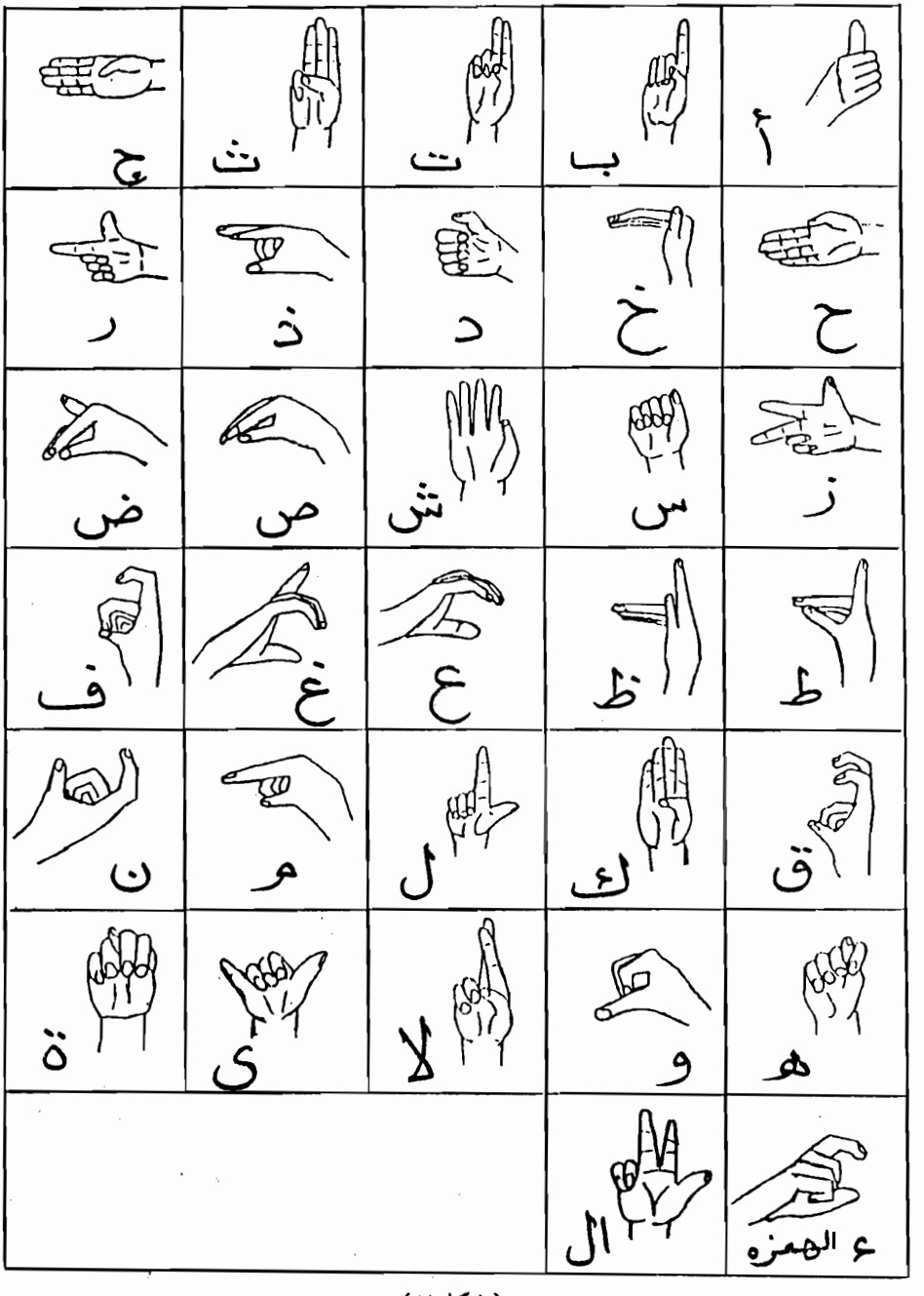

(شكل ٧)

« أبجدية الأصابع الإشارية العربية الموحدة »

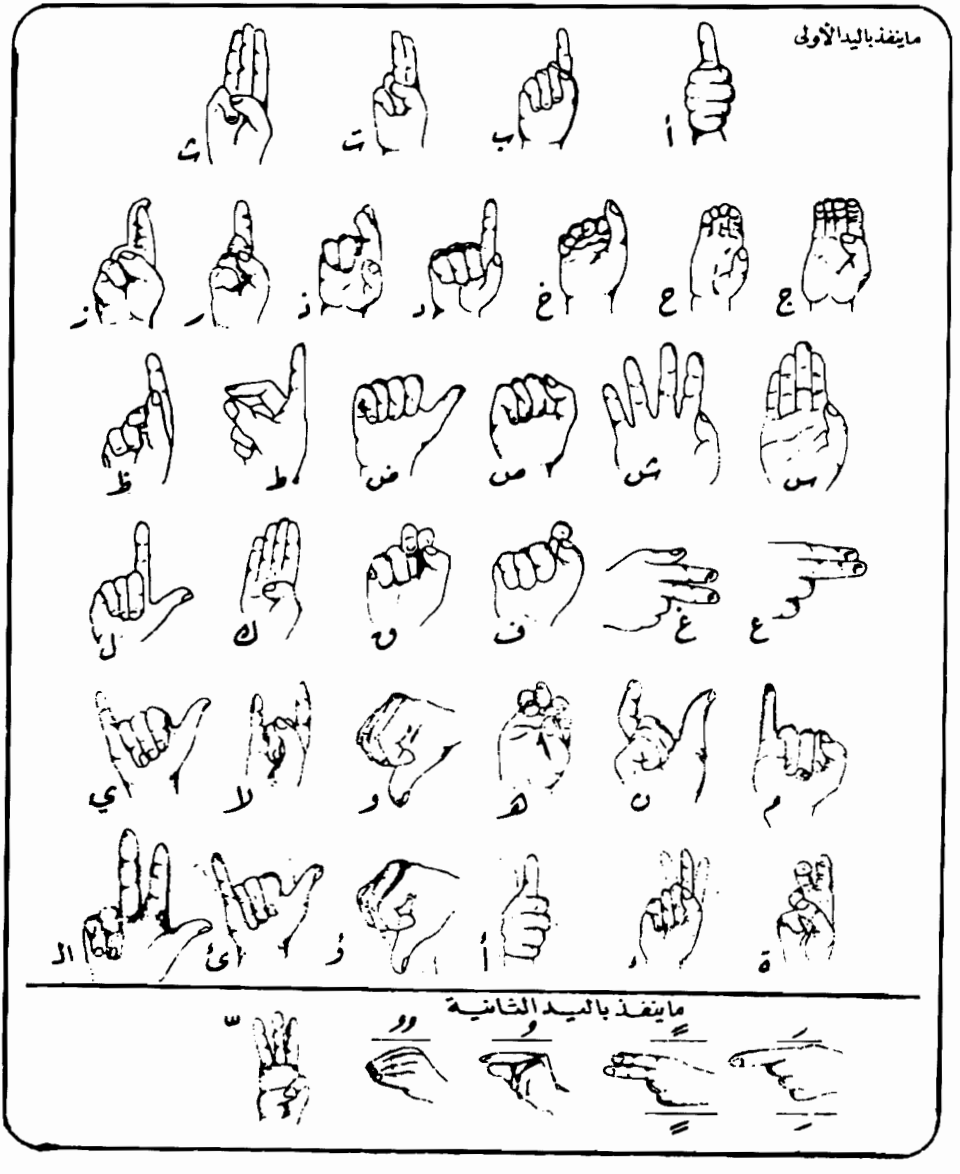

(شكل ٨)

الأرقام الإشارية العربية

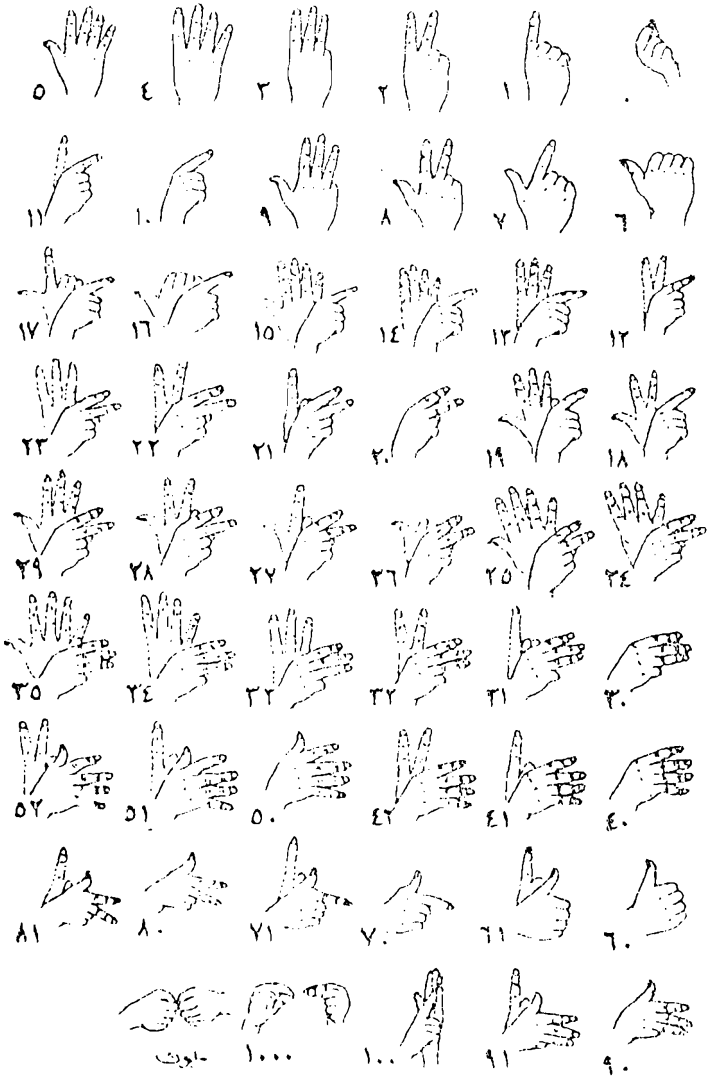

(شكل ٩)

ثالثاً : طريقة الاتصال الكلى (Total Communication Method)

يعرف الاتصال الكلى بأنه طريقة تسمح للتلاميذ الصم باستخدام كل الوسائل المتاحة فى عملية الاتصال ، مثل لغة الإشارة وهجاء الأصابع وقراءة الكلام والمعينات السمعية وتعبيرات الوجه والكتابة والرسم .

إن طريقة الاتصال الكلى تعتمد على فلسفة مؤداها « *أنه لا توجد طريقة واحدة ، تعد الأفضل لكل الصم فى كل الأوقات* » بمعنى أنه قد تكون هناك طريقة جيدة للاتصال بتلميذ أصم ، ليست بالضرورة هى الطريقة المثلى لتلميذ أصم آخر ، فلكل تلميذ طبيعته واحتياجاته التى تختلف عن غيره من التلاميذ ، وعلى ذلك لابد أن تتنوع وتختلف طرق الاتصال ، وفقاً لمقتضيات الموقف ، ووفقاً لطبيعة الفروق الفردية المختلفة الموجودة بين التلاميذ الصم .

وقد بدأت طريقة الاتصال الكلى تعرف طريقها إلى الانتشار بعد سنة (١٩٧٠) حيث كان الصراع ما زال محتدماً بين مؤيدى الطريقة الشفهية - التى كانت سائدة فى ذلك الوقت - ومؤيدى الطريقة اليدوية .فجاءت طريقة الاتصال الكلى لتجمع بين الطريقتين فى طريقة واحدة ، وقد انتشرت طريقة الاتصال الكلى بعد أن أجريت سلسلة من الدراسات ، مثل دراسة ستوكليس وبيرش Stuckless & Bricch (١٩٦٦) ودراسة ميدو Meadow (١٩٦٧) ودراسة فيرنون وكوه Vernon & Koh (١٩٧٠).

حيث أشارت نتائج تلك الدراسات إلى أن التلاميذ الصم من آباء صم ويستخدمون الاتصال اليدوى كانوا أفضل من التلاميذ الصم من آباء عاديين فى مهارات اللغة الإنجليزية والتحصيل والقراءة والنضج الاجتماعى ، ولم تُظهر النتائج أية فروق بين المجموعتين فى استخدام الكلام ، أى أن استخدام لغة الإشارة وهجاء الأصابع يساعدان على نمو مهارات الاتصال العامة ، بدون أى تأثير على اكتساب اللغة المنطوقة ، حيث كانت نقطة الاعتراض على طريقة الاتصال اليدوى تتمثل فى أنها تعوق عملية اكتساب الكلام لدى التلاميذ الصم .

ومما ساعد أيضاً على انتشار طريقة الاتصال الكلى ، وعدم الاكتفاء باستخدام الطريقة الشفهية فقط فى تعليم التلاميذ الصم ، أن النتائج أظهرت أن أقل درجات الاتصال ، قد حصل عليها التلاميذ الصم الذين يستخدمون الطريقة الشفهية ، وأن أعلى الدرجات حصل

عليها التلاميذ الصم الذين التحقوا بالفصول التى تستخدم طريقة الاتصال الكلى . ونتيجة للنجاح الذى حققته طريقةالاتصال الكلى ، فإن معظم المدارس فى الولايات المتحدة الأمريكية ، أصبحت تستخدمها باعتبار أنها الطريقة المفضلة لدى كل من المعلمين والتلاميذ الصم على حد سواء .

طريقة روشستر (Rochester Method) :

وهى طريقة تشبه طريقة الاتصال الكلى فى دمجهاالطريقة الشفهية مع الطريقة اليدوية ، حيث تعتمد طريقة روشستر على دمج استخدام هجاء الأصابع مع قراءة الكلام ، وهنا يقوم الأصم باستخدام هجاء الأصابع للتعبير عن كل كلمة ، وهذه الطريقةغير منتشرة الاستخدام فى مدارس الصم ، حيث وجهت إليها بعض الانتقادات التى ترى أنه لشىء يدعو للملل أن يقوم الفرد عندما يتكلم بالتعبير عن كل حرف بهجاء الأصابع ، ونفس الشعور بالملل يشعر به المستمع أو المشاهد ، الذى عليه أن يركز بعينيه على كل حرف يتم التعبير عنه بهجاء الأصابع، وذلك على الرغم من أن هجاء الأصابع يكون أكثر فاعلية عندما يستخدم مع لغة الإشارة .

بناء على ما تقدم ذكره من طرق الاتصال بالتلاميذ الصم ، نلاحظ أن طريقة الاتصال الكلى والتى تجمع بين كل من الطريقة الشفهية والطريقة اليدوية هى الطريقة الأكثر فاعلية ، وهو ما ظهر بصورة واضحة من خلال نتائج الدراسات المختلفة التى تناولت طرق الاتصال بالتلاميذ الصم ، علاوة على أن طريقة الاتصال الكلى من أكثر الطرق استحساناً وقبولاً لدى كل من التلاميذ الصم والمعلمين ، لأنها تتيح أمام المعلم فرصاً عديدة للمفاضلة والاختيار بين طرق وأساليب الاتصال المختلفة ، وذلك وفقاً لطبيعة وميول وحاجات التلميذ الأصم ، ووفقاً لدرجة فقدانه للسمع ومدى مهارته فى قراءة الكلام ، بالإضافة إلى مقتضيات الموقف التعليمى ونوع الخبرة المراد تعلمها .

والشكل التالى يوضح طرق الاتصال المختلفة المستخدمة فى مجال تعليم الصم .

« طرق الاتصال بالتلاميذ الصم »

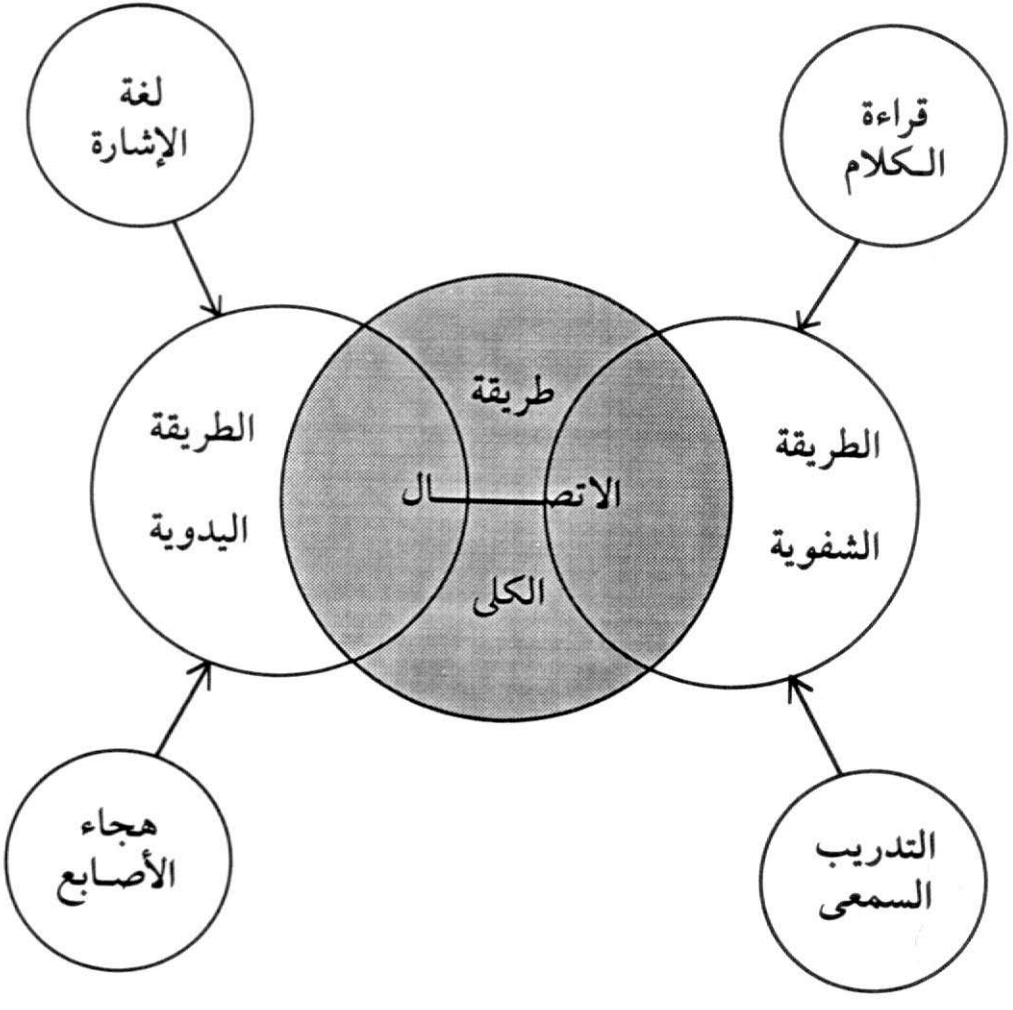

(شكل ٩)

الخلاصة :

ناقشنا فى هذا الفصل طرق الاتصال الخاصة بالتلاميذ الصم والتى تضم :

(أ) الطريقة الشفهية .

(ب) الطريقة اليدوية.

(جـ) طريقة الاتصال الكلى .

واستعرضنا كل طريقة من هذه الطرق الثلاث بالتفصيل، حيث أوضحنا أن الطريقة الشفهية تجمع بين كل من :

١ - قراءة الكلام . ٢ - التدريب السمعى .

وتحدثنا بالتفصيل عن استراتيجيات الاتصال والاستماع الخاصة بقراءة الكلام ، وذكرنا بعض فنيات عملية التدريب السمعى .

وانتقلنا إلى مناقشة الطريقة اليدوية والتى تضم:

١ - لغةالإشارة . ٢ - هجاء الأصابع.

وناقشنا بالتفصيل أهمية استخدام لغة الإشارة بالنسبة للتلاميذ الصم وأوضحنا أن الإشارات تنقسم إلى نوعين هما :

١ - إشارات وصفية . ٢ - إشارات غير وصفية .

وانتقلنا إلى مناقشة موضوع توحيد لغة الإشارة ، والخطوات التى يجب اتباعها لوضع قاموس للغة الإشارة ، والخطوات التى اتبعت لتوحيد الأبجدية الإشارية لهجاء الأصابع ، فى كافة الدول العربية.

وانتقلنا إلى الكلام عن طريقة الاتصال الكلى ، التى تجمع بين الطريقة الشفهية والطريقة اليدوية. وتعتمد طريقة الاتصال الكلى على الفلسفة التى ترى ، أنه لا توجد طريقة واحدة تعد الأفضل لكل الصم فى كل الأوقات ، وهو الأمر الذى ساعدعلى انتشارها ، وأصبحت الطريقة المفضلة لدى معظم المعلمين والتلاميذ الصم ، وأخيراً أوضحنا طريقة روشستر ، كطريقة اتصال تعتمدعلى دمج استخدام هجاء الأصابع مع قراءة الكلام ، وذكرنا الانتقادات التى وجهت إليها .

* * *